Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

التحقق المعلوماتي في التراث الإسلامي: آليات نقد الرواية ومقارنتها بخوارزميات الكشف عن التزييف المعرفي

الدكتور الشيخ حسين محسن علي التميمي[1]
[1] العتبة العباسية المقدسة – العراق
husaan1788@gmail.com

ملخص. شهدت المجتمعات المعاصرة تزايداً غير مسبوق في سرعة تداول المعلومات، مما أوجد تحديات معرفية تتعلق بتمييز الصحيح من المزيف. وفي الوقت ذاته يمتلك التراث الإسلامي منظومة دقيقة للتحقق من الأخبار والروايات عُرفت بعلم الرجال والدراية، قامت على فحص السند والمتن، وتحليل صدقية الراوي، ودراسة سياق النص وظروفه. هذا البحث يسعى إلى مقاربة مقارنة بين آليات التحقق المعلوماتي في التراث الإسلامي وبين الخوارزميات الحديثة المعتمدة في الذكاء الاصطناعي للكشف عن التزييف المعرفي **(Fake News (Detection**. إذ نحاول إبراز نقاط الالتقاء والاختلاف، وبيان كيف يمكن استثمار التجربة النقدية التراثية لبناء تعليم معرفي آمن ومستدام، يضمن تكوين وعي نقدي لدى المتعلمين في زمن التضخم الرقمي والتزييف التقني العميق **(Deepfake)**. ويمثل هذا الربط رؤية منهجية لتجديد دور العلوم الإسلامية في مواجهة التحديات المعرفية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التحقق، المعلوماتي، التراث، آليات، الرواية، بخوارزميات، التزييف.

– بيان مشكلة البحث

إن التطور التكنولوجي الهائل أتاح للذكاء الاصطناعي قدرة واسعة على إنتاج محتوى معلوماتي سريع الانتشار، لكنه في المقابل فتح الباب واسعاً أمام التضليل المعرفي، وتشويه الحقائق، وصناعة روايات مزيفة

قد يصعب كشفها على المتلقي غير المتخصص. وفي الوقت ذاته يحمل التراث الإسلامي منظومة متكاملة للتحقق النقدي من الأخبار والروايات، لكنها غالباً لا تُوظّف بالشكل الذي يجعلها قادرة على الإسهام في مواجهة هذه التحديات الحديثة.

تكمن مشكلة البحث في:

كيف يمكن الإفادة من آليات نقد الرواية التراثية في دعم وتطوير خوارزميات الكشف عن التزييف المعرفي المعاصر، وبناء منهج نقدي تربوي يسهم في حماية الوعي الديني والمعرفي؟

- أهداف البحث

1. تسليط الضوء على منهج التحقق من الروايات في التراث الإسلامي، وبيان أسسه المعرفية والمنهجية.
2. مقارنة آليات نقد السند والمتن بآليات التحقق الخوارزمي (*Machine Learning & NLP* في تحليل *doğrness*).
3. توضيح إمكانات المواءمة بين الخبرة التراثية وعلوم البيانات الحديثة في بناء بيئة معرفية آمنة.
4. اقتراح نموذج تطبيقي أولي يمكن الإفادة منه في تصميم برامج تعليمية تُنَمّي مهارات التمييز بين المعلومات الصحيحة والمضللة.
5. دعم المشروع التربوي الديني في مواجهة ظواهر التضليل الرقمي وتنمية الوعي النقدي لدى الشباب.

- بعض نتائج البحث المتوقعة

1. يظهر التقارب المعرفي والمنهجي بين علم الحديث التراثي وتقنيات التحقق الحديثة، فكلاهما يعتمد على تحليل المصدر، والسياق، والترابط الداخلي للخطاب.
2. يمكن اعتبار "عدالة الراوي" في علم الرجال شكلاً مبكراً من التوثيق المعتمد على السمعة الرقمية (*Reputation Scoring*).
3. إن منهج عرض المتن على القرآن والعقل القطعي يقابل اليوم في الذكاء الاصطناعي آليات التحقق الدلالي واللغوي (*Semantic Validation*).
4. يمتلك التراث الإسلامي قابلية الإسهام في بناء خوارزميات عربية أصيلة في كشف الأخبار المزيفة.
5. يُعزّز إدخال هذه المقارنات في مناهج التعليم الديني والجامعي مهارات التفكير النقدي، ويؤسس لثقافة معرفية مقاومة للتزييف.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المقدمة

يشهد العالم المعاصر حالة تحول معرفي متسارع بفعل التطور الهائل في تقنيات الذكاء الاصطناعي، ولا سيما في مجالات تحليل البيانات، ومعالجة اللغة الطبيعية، وصناعة المحتوى الرقمي. وقد أدى هذا التحول إلى انتقال المعرفة من كونها نتاجاً للتراكم البشري المباشر إلى كونها نتاج منظومات رقمية قادرة على إنتاج المعلومات ومعالجتها وتوجيهها. ومع هذه القدرة التقنية المتزايدة ظهرت تحديات عميقة تمسّ بنية الوعي البشري، أهمها اتساع ظاهرة التضليل المعرفي وانتشار الأخبار والروايات المزيفة والقدرة على تقليد الأصوات وصناعة هويات رقمية وهمية عبر تقنيات الـ(*Deepfake*)، مما يجعل الفرد أمام سيل معلوماتي يصعب تمييز صدقه من زيفه ما لم يمتلك أدوات نقد وتحليل راسخة.

وفي مقابل هذا الواقع الجديد، يمتلك التراث الإسلامي إرثاً منهجياً غنياً في مجال التحقق من صدق الأخبار والروايات، عُرف بعلوم الحديث والرجال والدراية، حيث عمل العلماء عبر قرون طويلة على وضع معايير دقيقة لفحص السند والمتن، وتحليل شخصية الراوي، ودراسة السياق التاريخي والاجتماعي للنصوص التي يتلقونها. لم يكن ذلك عملاً تقليدياً أو جامداً، بل كان مشروعاً نقدياً متكاملاً يهدف إلى حفظ الوعي الديني من التحريف، وصيانة المجتمع الإسلامي من التضليل، وترسيخ منهج معرفي يقوم على التثبت والتقييم قبل التسليم والقبول. وبذلك يمكن القول إن التراث الإسلامي لم يتعامل مع المعرفة تعاملاً عفوياً، وإنما اعتمد منهجاً نقدياً صارماً سبق في كثير من جوانبه ما وصلت إليه المدارس الحديثة في التحقق العلمي والمعلوماتي.

ومع ظهور أنظمة الذكاء الاصطناعي المخصّصة للكشف الآلي عن الأخبار المزيفة، بدا أن ثمة تقاطعاً معرفياً بين ما قدمه تراثنا العلمي من جهة، وما تنتجه التقنيات الحديثة من جهة أخرى. فخوارزميات الكشف عن التزييف المعرفي تعتمد على تحليل المصدر، وفحص مصداقية القائل، ودراسة المعنى، والربط بين المعلومة وسياقاتها المرجعية، وهي ذات المبادئ التي قامت عليها علوم نقد الرواية إسناداً ومتناً. وهذا التقارب لا يعني التطابق، بل يشير إلى إمكانية بناء جسر معرفي يربط بين خبرة العلماء التراثيين وبين قدرات الأنظمة الحسابية المعاصرة، بما يسمح بإعادة توظيف منهجية التحقق الإسلامية في دعم مشروع بناء وعي معرفي محصّن أمام موجات التضليل.

وإن الحاجة اليوم ملحّة لإحياء هذه المنهجيات النقدية في البيئة التعليمية الدينية والجامعية، ليس بوصفها دراسات تاريخية، بل بوصفها أدوات تفكير ووعي قادرة على حماية المتلقي من الاندماج غير الواعي في فضاءات رقمية مفتوحة تنتج الحقيقة بقدر إنتاجها للوهم. ومن هنا يهدف هذا البحث إلى مقاربة

مقارنة بين آليات التحقق في علم الحديث وآليات التحقق الخوارزمي، وتحليل نقاط الالتقاء والتميّز، وبيان كيف يمكن لهذه المقارنة أن تسهم في تعزيز التعليم الآمن والمستدام، وترسيخ مهارات التفكير النقدي لدى طلبة العلوم الإسلامية في عصر تتغير فيه مصادر المعرفة ومناهج تداولها.

وبذلك يتجاوز البحث حدود المقارنة التاريخية، ليلتفت إلى بناء رؤية تطبيقية تسعى إلى إعادة توظيف التراث بوصفه إطاراً منهجياً فعّالاً في مواجهة مشكلات معرفية معاصرة، والانتقال من النظر إلى التراث كـ"موروث محفوظ" إلى اعتباره "خبرة معرفية قابلة للتطوير والإفادة والإنتاج من جديد.

- بيان موضوع البحث

يتناول هذا البحث دراسة منهج التحقق المعلوماتي في التراث الإسلامي من خلال علوم الحديث والرجال والدراية، بوصفها منظومة نقدية متكاملة للتحقق من صدق الروايات وتمييز الصحيح من الضعيف، وذلك بالمقارنة مع الخوارزميات الحديثة المستخدمة في الذكاء الاصطناعي للكشف عن التزييف المعرفي والأخبار المزيفة. ويهدف البحث إلى بيان نقاط التقاطع والاختلاف بين الآليتين، وكيف يمكن الاستفادة من الخبرة التراثية في تطوير نماذج معرفية حديثة تساهم في بناء وعي نقدي لدى المتعلمين، وتأمين التعليم من مخاطر التضليل الرقمي.

- أهمية البحث

- علمياً: يساهم البحث في إضاءة جانب مهم من التراث الإسلامي يتعلق بعقلنة نقل المعرفة، ويضعه في سياق مقارن مع أهم التحولات الرقمية المعاصرة.
- تربوياً: يعزز إدماج مهارات التحقق النقدي في التعليم الديني والجامعي، بما يقي الطلبة من التأثر بالمحتويات الرقمية الزائفة.
- معرفياً: يقدم نموذجاً منهجياً يربط بين علوم الإنسان (الحديث، الرجال، النقد) وعلوم الآلة (الذكاء الاصطناعي، تحليل البيانات).
- حضارياً: يبيّن قدرة التراث الإسلامي على الإسهام الفعال في تطوير أدوات معالجة المعرفة المعاصرة وليس مجرد حفظ الماضي.

- أهداف البحث

1. تحليل منهج التحقق من الروايات في التراث الإسلامي وبيان أسسه المعرفية.
2. الكشف عن آليات خوارزميات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في كشف الأخبار المزيفة.
3. إجراء مقارنة منهجية بين آليات نقد السند والمتن وآليات التحقق الخوارزمي.

4. إبراز فرص دمج المناهج التراثية في بناء تعليم نقدي مقاوم للتضليل.
5. تقديم تصور تطبيقي يمكن الإفادة منه في تطوير مناهج تربوية حديثة.

- منهج البحث

1. يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن، من خلال:
2. تحليل النصوص التراثية في علم الرجال والدراية.
3. دراسة الأدبيات الحديثة في الذكاء الاصطناعي وكشف التزييف.
4. المقارنة بين قواعد التوثيق التقليدية والخوارزميات الرقمية للتحقق.
5. الاستنتاج النظري لآفاق التكامل بين المنهجين.

أسئلة البحث

السؤال الأصلي:

س/ كيف يمكن الاستفادة من آليات نقد الرواية في التراث الإسلامي في دعم وتطوير خوارزميات الذكاء الاصطناعي للكشف عن التزييف المعرفي وبناء وعي معرفي نقدي مستدام؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي الأسس المعرفية والمنهجية للتحقق في علوم الحديث والرجال؟
2. ما أبرز تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في كشف الأخبار والتزييف الرقمي؟
3. ما نقاط التشابه والاختلاف بين منهج التحقق التراثي ومنهج التحقق الخوارزمي؟
4. كيف يسهم جمع الخبرتين في بناء نموذج تربوي يحمي الوعي من التضليل؟

فرضيات البحث

1. يمتلك التراث الإسلامي منظومة تحقق معلوماتي تصلح لتكون مرجعاً منهجياً في معالجة التزييف المعرفي.
2. إن الخوارزميات الحديثة تعتمد مبادئ تقارب في جوهرها أساليب نقد السند والمتن.
3. الدمج بين التراث النقدي والذكاء الاصطناعي يمكن أن يساهم في بناء تعليم آمن ومستدام.
4. ضعف الوعي النقدي لدى المتعلمين يزيد من قابلية المجتمع للانخداع بالتزييف الرقمي.

السابقة الدراسية (أبرز الدراسات في الموضوع وما يميز بحثك عنها)

- دراسات علوم الحديث والرجال الكلاسيكية:

ركّزت على تحليل السند والمتن وفق الضوابط التقليدية، لكنها لم تربط هذا المنهج بعلوم البيانات الحديثة أو بتحديات التضليل الرقمي المعاصر.

الدراسات الحديثة حول الذكاء الاصطناعي وكشف الأخبار المزيفة:

غالباً تقدم توصيفاً تقنياً للخوارزميات (*NLP*، *Machine Learning*) دون ربطها بمناهج نقد المعرفة في التراث الإسلامي أو إمكانيات الإفادة منها.

الدراسات التي قارنت بين التراث والمعرفة الحديثة:

إما كانت في نطاق فلسفي عام أو تناولت مفاهيم معرفية دون تطبيق عملي على موضوع كشف التزييف.

إضافة البحث الجديدة

هذا البحث يمتزج فيه التحليل التراثي مع التحليل التقني بشكل مباشر، ويقدم مقارنة منهجية تفصيلية بين:

- نقد السند ↔ تحليل موثوقية المصدر
- نقد المتن ↔ تحليل الدلالة اللغوية والسياقية
- العدالة والضبط ↔ سمعة المصدر ومعايير المصداقية الرقمية

وبذلك يقدّم نموذجاً مقترحاً لإدماج التراث في بناء منظومات تعليمية ونقدية حديثة، مما يشكّل إضافة علمية أصيلة وليست تكراراً لما سبق.

تمهيد

يُعدّ التحقق من صدق المعلومة إحدى أهم القضايا المعرفية التي واجهت الإنسان منذ فجر التاريخ، إذ ارتبطت بسلامة الوعي وصدق المعرفة وصيانة المجتمع من التضليل. وقد أولى التراث الإسلامي هذه المسألة اهتماماً بالغاً، فأسس منظومة نقدية دقيقة لفحص الأخبار والروايات تُعرف بعلوم الحديث والرجال والدراية، اعتمدت على تحليل السند والمتن، وتمحيص شخصية الراوي، ودراسة السياق التاريخي والدلالي

للنص. ولم تكن هذه المنهجية مجرد إجراءات شكلية، بل كانت مشروعاً معرفياً متكاملاً يهدف إلى حماية الوحي والوعي من التحريف، وإقامة المعرفة على أسس موضوعية.

وفي المقابل يشهد الواقع المعاصر ثورة رقمية غير مسبوقة، أفرزت أنماطاً جديدة من تداول المعلومات عبر وسائل التواصل والمنصات الإلكترونية وتقنيات الذكاء الاصطناعي القادرة على صناعة المحتوى وإعادة إنتاجه وترويجه، مما أدى إلى بروز تحديات خطيرة تتعلق بانتشار التزييف المعرفي، وصعوبة التمييز بين الحقيقي والمصطنع، خصوصاً مع قدرة الأنظمة الرقمية على توليد صور وأصوات ونصوص تحاكي الواقع بدقة قد تلتبس حتى على المختصين. وهذا ما يجعل قضية التحقق اليوم ليست مجرد مسألة علمية، بل قضية أمن معرفي وأخلاقي وثقافي.

وإن التقاطع بين الخبرة التراثية في نقد الرواية والخبرة التقنية المعاصرة في كشف التزييف يُتيح فرصة علمية مهمّة لإعادة قراءة المناهج القديمة بوصفها رصيداً معرفياً قابلاً للتوظيف، وليس مجرد موروث تاريخي. فالتراث الإسلامي قدّم نموذجاً مبكراً للتثبت والتحليل المنطقي، بينما تقدّم الخوارزميات الحديثة أدوات سريعة المعالجة واسعة القدرة على تحليل البيانات. ومن هنا ينفتح أفق للتكامل بين المنهج الإنساني والمنهج التقني، بما يسهم في بناء تعليم آمن ومستدام، وتقوية مهارات الوعي النقدي لدى أفراد المجتمع، ولا سيما الشباب الذين يشكّلون الشريحة الأكثر تعرضاً للمعلومات الرقمية.

وبناءً على ذلك، يأتي هذا البحث ليبحث العلاقة بين آليات نقد الرواية في التراث الإسلامي وآليات الكشف عن التزييف المعرفي في الذكاء الاصطناعي، مع محاولة استخلاص نموذج معرفي يمكن أن يقدّم إسهاماً عملياً في الحقل التربوي والديني والبحثي المعاصر.

المبحث الأول: "منهج التحقق من الرواية في التراث الإسلامي: الأسس والمنطلقات المعرفية":

انشغل العقل الإسلامي منذ بداياته بقضية التحقق من صدق المعلومة وتمييز الصحيح من الزائف، وذلك نتيجة لوعي مبكر بخطورة الكلمة وأثرها في تشكيل الوعي الديني والاجتماعي، وقد مثّل ظهور جملة من الروايات والمنقولات التي نُسبت إلى النبي وأهل بيته عليهم السلام دون تمحيص، حافزاً لتأسيس منهج معرفي صارم يُعنى بفحص الأخبار قبل قبولها. وهذا ما وضع الأساس لولادة علوم الحديث والرجال والدراية، التي شكلت منظومة نقدية متكاملة تهدف إلى حماية الوحي من التحريف وصيانة العقل الإسلامي من التضليل.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولم يكن هذا المشروع وليد الترف المعرفي، بل جاء استجابة لحاجة اجتماعية وسياسية وفكرية، مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتعدد الجماعات والاتجاهات والمصالح، مما أتاح فرصاً لظهور روايات موضوعة أو محرّفة. وقد عبّر الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الإحساس المبكر بالخطر حين قال: « اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا» (الاعتقادات في دين الإمامية: 99). فكان التعامل مع الخبر في الثقافة الإسلامية يتجاوز مرحلة التسليم، ليدخل في دائرة الشك المنهجي الذي لا يرفض الخبر بمجرد الشبهة ولا يقبله دون دليل، وهذا ما يجعل منهج التحقق جزءاً من البنية الأصلية للعقل الإسلامي وليس أمراً طارئاً أو وافداً من خارج منظومته.

يقوم منهج التحقق في التراث الإسلامي على ركنين أساسيين: نقد السند ونقد المتن. أما نقد السند فهو فحص سلسلة الرواة والبحث في وثاقتهم وعدالتهم وضبطهم واتصال روايتهم، وقد ظهرت هنا جهود واسعة في علم الرجال، مثل كتاب النجاشي و«فهرست» الشيخ الطوسي، حيث جرى توصيف كل راوٍ بوصف أخلاقي وعلمي واجتماعي يكشف مدى إمكان الاعتماد عليه. فالعلاقة بين الناقل والمنقول لم تكن علاقة ثقة تلقائية، بل علاقة مبنية على المعرفة والخبرة، ويمكن اعتبار هذا العمل المبكر شكلاً من أشكال «التحقق من مصدر البيانات» (*Source Validation*) في المصطلح المعاصر، كما أن مفهوم «العدالة» الذي مثّل معياراً أخلاقياً للراوي يقارب ما يعرف اليوم بـ«السمعة الرقمية» (*Reputation Score*) في الأنظمة الشبكية.

أما نقد المتن فيعتمد على عرض الرواية على القرآن والعقل القطعي وما هو ثابت من السنة، وهو ما يعادل اليوم في علوم الذكاء الاصطناعي ما يسمى «التحقق الدلالي والسياقي» (*Semantic Consistency Check*). فالتراث لم يقف عند حدود وثاقة الراوي، بل جعل صدق المضمون محكاً نهائياً للقبول. ولذلك نجد الإمام علي عليه السلام يضع قاعدة معيارية عظيمة بقوله: «اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله» (نهج البلاغة)، وهو توجيه يجعل النص هو محل الاختبار لا الشخص فقط. وإذا كان الذكاء الاصطناعي اليوم يحلل النصوص عبر خوارزميات تحليل الدلالة (*Natural Language Processing*)، فإن نقد المتن كان يقوم بالدور ذاته بصورة عقلية ومنهجية، مع الاستناد إلى مرجعيات معرفية راسخة كالقرآن والعقل والسيرة الثابتة.

وقد أظهر علماء الجرح والتعديل قدرة عالية على الفصل بين الخبر والهوى، مما جعل هذا العلم يحقق ما يسمى بمنهج الفصل بين المعرفة والمصلحة، وهو من أهم مبادئ التفكير العلمي. فالنظر إلى الراوي كان يتم ضمن ميزان موضوعي، لا ضمن الانتماء أو القرابة أو الميل العاطفي. وهذا ما جعل الموروث

الحديثي الإسلامي يحتفظ بقدر عال من الموضوعية المنهجية مقارنة ببعض التراثات الدينية الأخرى التي يغلب عليها التسليم دون تمحيص. ومن الأمثلة اللافتة هنا، ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام حين رُويت أمامه أحاديث، فقال: " اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه " (الكافي: 1/ 8). إن هذا النص يضع معياراً مركزياً للمعرفة يمكن تسميته: «التحقق عبر المرجعية العليا للنص المؤسس»، وهو ما يمثل في لغة العصر "، المرجعية الفوقية للبيانات الأصلية" (*Master Reference Dataset*)..

ويلاحظ أن هذا المنهج لم يكتف بالتحقق من الأفراد والنصوص، بل اتسع لفحص السياقات، أي تحليل الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية التي نشأت فيها الرواية. وهذا يقارب في الذكاء الاصطناعي ما يعرف بـ«تحليل البنية السياقية للمحتوى» (*Contextual Data Profiling*)، حيث لا تُفهم المعلومة بمعزل عن الإطار الذي ولدت فيه. فالرواية التي تنسجم مع سياقها الزماني والمكاني تكون أكثر قابلية للقبول من تلك التي تأتي مفصولة عنه. وقد طبّق هذا الاتجاه كبار المحدثين، مثل الشيخ المفيد والعلامة المجلسي، حين بحثوا في أسباب صدور بعض الروايات وموقعها من صراعات السلطة والتأثير الفكري والاجتماعي.

وإن ما سبق يكشف أن منهج التحقق في التراث الإسلامي لم يكن مجرد مفردات متفرقة، بل كان منظومة معرفية متكاملة تقوم على ستة مبادئ جوهرية: التحليل النقدي للمصدر، التحقق من السلوك والسمعة، ضبط نقل البيانات، عرض المحتوى على مرجعية معرفية أعلى، تحليل السياق، والفصل بين المعرفة والانتماء.

وهذه المبادئ نفسها هي ما تسعى إليه اليوم الأنظمة الذكية في كشف التزييف المعرفي، وإن اختلفت الأدوات. فالمفاهيم واحدة، ولكن الوسائل تتطور.

وعليه فإن الربط بين الخبرة التراثية والخبرة التقنية ليس استعادة للتاريخ بحرفيته، بل هو اكتشاف عميق لقدرة التراث على الإسهام في مواجهة تحديات العصر، وتأكيد أن التعليم الديني لا يمكن أن يكون تعليماً نقلياً، بل يجب أن يكون تعليماً نقدياً تحليلياً يواجه التزييف لا ينعزل عنه، ومن هنا تبرز الحاجة إلى إعادة دمج مهارات التحقق الحديثة ضمن المناهج المعاصرة لحماية الوعي من الانخداع في زمن تتفوّق فيه قدرة الآلة على محاكاة الحقيقة، ولكنها لا تمتلك معيار الحق.

المبحث الثاني: "الخوارزميات الحديثة في الكشف عن التزييف المعرفي: المبادئ والآليات والتطبيقات":

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

يُعدّ التزييف المعرفي أحد أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات في العصر الرقمي، حيث أصبح إنتاج المعلومات المضلّلة عملية سهلة وميسّرة بفضل التطور التقني الهائل. ولم يعد الإنسان قادراً وحده على التمييز بين الحقيقة والافتراء، بعد أن أصبحت الأخبار المزيفة تُصاغ بأساليب بلاغية متقنة، وتُدعَم بصور وفيديوهات رقمية عالية الجودة يصعب كشفها بالعين المجردة. وهنا يأتي دور الحوسبة المتقدمة، والذكاء الاصطناعي، والخوارزميات الحديثة، في تشكيل أدوات قادرة على كشف التزييف المعرفي وتحليل المحتوى بعمق، سواء كان نصاً مكتوباً أو صورةً أو مقطع فيديو أو حتى صوتاً بشرياً محاكى رقمياً.

ولقد بدأ الاهتمام العالمي بتطوير خوارزميات لكشف الأخبار المزيفة بعد الانتخابات الأمريكية لعام 2016، حيث كشفت دراسة أعدّها باحثون في جامعة *MIT* أنّ الأخبار المضللة تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي أسرع بـ(6) مرات من الأخبار الحقيقية بسبب بنيتها العاطفية (*Vosoughi, Roy, & Aral, 2018*) ومن هنا برزت الحاجة إلى أنظمة تعتمد على الذكاء الاصطناعي لتصنيف الأخبار وفق مصداقيتها، وتعتمد خوارزميات كشف الأخبار المزيفة على عدة مبادئ، أهمها تحليل اللغة المستخدمة في النص، إذ تشير الأبحاث إلى أن الأخبار المفبركة تستخدم كلمات ذات شحنة انفعالية عالية، وتعبيرات خطابية مبالغ فيها، عكس الأخبار المهنية الدقيقة التي تعتمد مفردات محايدة وبيانات رقمية. وفي هذا الإطار، طورت شركات مثل *Google* و*Meta*) نماذج لغوية تعتمد على تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (*NLP*) لتحديد مستوى التلاعب اللغوي، وتقييم مصدر الخبر، ومطابقة محتواه مع قواعد بيانات معتمدة. وقد أشار الباحث *Pérez-Rosas* في دراسة منشورة سنة 2019 إلى أن استخدام الشبكات العصبونية في تحليل السمات الأسلوبية للنصوص حقق دقة تجاوزت 76% في تمييز الخبر الصحيح من المزيف.

ولا يتوقف الأمر عند تحليل النصوص فقط، بل يتعداه إلى تحليل الصور والفيديوهات التي أصبحت تُنتج اليوم بتقنيات التزييف العميق (*Deepfake*) التي تعتمد على دمج الشبكات العصبونية التوليدية (*GANs*)، وهي أنظمة قادرة على تعلم شكل الوجه والصوت ثم إعادة إنتاجه بصورة دقيقة للغاية بحيث يصعب تمييزه عن الحقيقي. وقد اشتهرت هذه التقنية بعد حادثة نشر فيديو مزيف للرئيس الأمريكي باراك أوباما سنة 2018، إذ ظهر يتلفظ بعبارات لم يقلها إطلاقاً، وقد طور الفيديو باحثون في جامعة واشنطن لتوضيح خطورة التلاعب بالهوية المرئية. ومنذ ذلك الوقت، دخلت المؤسسات الإعلامية والبحثية في سباق مع الزمن لتطوير أنظمة قادرة على كشف التزوير. ومن أبرز هذه الأنظمة خوارزميات تحليل حركة الوجه والعينين، إذ اكتشف الباحث *Agarwal et al., 2020*)) أن التزييف العميق يفشل غالباً في إعادة نمط الرمش الطبيعي، مما يجعل تتبُّع الرمش أحد مؤشرات الكشف الدقيقة.

وأما في مجال التحقق من صحة الفيديوهات، فقد استخدمت منصات مثل *YouTube*)) خوارزميات تعتمد على مقارنة الإطار المرئي (*Frame*) مع أرشيف بصري ضخم للتأكد من عدم إعادة توظيف مشاهد قديمة بشكل مضلل، وهو ما يُعرف بـ *Image Forensics*. وكما تستخدم خوارزميات تحليل الصوت نماذج لتفكيك الموجات الصوتية ومقارنة بصمة المتحدث مع قاعدة بيانات للأصوات المعروفة، وقد أشار *Creswell et al., 2021* إلى أن دقة هذه الأنظمة تجاوزت 90% في بعض التطبيقات العسكرية والاستخباراتية.

وتكمن أهمية هذه الخوارزميات اليوم في أنّ التزييف المعرفي لم يعد يستهدف الجمهور العادي فحسب، بل أصبح يُوظف في صناعة الرأي العام، والتأثير على الانتخابات، والحروب النفسية، والتجارة الرقمية، ونشر الكراهية الطائفية وتزييف الوثائق التاريخية. وقد أشار الباحث *Shu et al., 2020* إلى أنّ 42% من النزاعات الخطابية على الإنترنت مرتبطة بمعلومات مضللة صادرة من حسابات غير بشرية (*Bots*). وهذا يثبت أنّ المعركة مع التزييف المعرفي لم تعد معركة وعي فردي فقط، بل أصبحت معركة خوارزميات ضد خوارزميات.

وعلى الرغم من التطور الملحوظ، ما تزال الخوارزميات تواجه تحديات كبيرة، من أبرزها أن تقنيات التزييف تتطور بسرعة مساوية لتقنيات الكشف، إضافة إلى الحاجة إلى بيانات ضخمة لتدريب النماذج، إلى جانب مخاوف أخلاقية تتعلق بالرقابة الرقمية واحتمالات إساءة استخدام تقنيات الكشف نفسها في تقييد حرية التعبير.

وإنّ ما يشهده العالم اليوم يؤكد أن مستقبل مواجهة التزييف المعرفي يعتمد على بناء منظومات تكاملية تجمع بين وعي الإنسان وخبرة الآلة، بحيث لا يُسلّم العقل الإنساني قيادته كلياً للحوسبة، ولا يبقى وحده في مواجهة سيل معرفي مضطرب. فالتقنية أداة، لكنها تحتاج إلى قيم، والآلة قوة، لكنها تحتاج إلى بوصلة، وهذه البوصلة يجب أن تُصاغ بثقافة معرفية رصينة تستند إلى الوعي النقدي والأخلاقي، ليبقى الإنسان سيد الحقيقة لا ضحيتها.

الخاتمة

يتضح مما تقدّم أنّ التزييف المعرفي لم يعد ظاهرة عابرة أو مجرد حالة من التضليل الإخباري التقليدي، بل هو مشروع متكامل يعيد تشكيل الوعي ويؤثر في البنية الإدراكية للمجتمعات والأفراد، عبر أدوات رقمية

بالغة التطور تقوم على الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبونية التوليدية. وإنّ الخوارزميات الحديثة التي تم توظيفها للكشف عن الزيف ليست مجرد حلول تقنية محايدة، بل هي جزء من منظومة معرفية وأخلاقية أوسع تحاول حفظ معنى الحقيقة في زمن تتنازع فيه الروايات وتتعدد فيه مراكز إنتاج المعلومات بصورة غير مسبوقة. وقد أثبتت التجارب أن الاعتماد على ملكة الإنسان في التمييز وحدها لم يعد كافياً أمام حجم التلاعب البصري واللغوي والصوتي الذي يُنتج بطريقة متقنة، مما جعل الذكاء الاصطناعي شريكاً ضرورياً في عملية التحليل والكشف والتحقق.

ومع ذلك، فإنّ هذه الخوارزميات ليست حلاً نهائياً، فهي تتقدم وتتطور بقدر ما تتطور تقنيات التزييف نفسها، ما يجعل المجال أشبه بسباق دائم بين من يسعى لحماية الحقيقة ومن يعمل على زعزعتها. وهذا يستدعي رؤية متوازنة تتكامل فيها قدرات الإنسان النقدية مع قوة الحوسبة، بحيث يصبح الوعي البشري قادراً على قراءة المعلومات وتقييم مصادرها، لا أن يتحول إلى متلقٍّ سلبي أمام ما يُضخ إليه من محتوى. إنّ التحدي الحقيقي لا يكمن فقط في تطوير أدوات كشف التزييف، بل في بناء ثقافة معرفية تحترم المعايير العلمية والأخلاقية في التعامل مع المعلومة، وتعيد للإنسان ثقته بقدرته على فهم العالم من حوله دون أن يُختطف وعيه من قبل الصور المموهة والخطابات المصطنعة.

وبذلك يتأسس الفهم المعاصر لهذه القضية على أن المواجهة لن تُحسم في التقنية وحدها، ولا في الوعي وحده، بل في المزاوجة بينهما، وفي صياغة بيئة معرفية رشيدة تعلي من قيمة الحقيقة، وتحمي الوعي الجمعي من الانهيار أمام التلاعب المنظم بالعقول والهويات.

النتائج

أسفر البحث عن جملة من النتائج التي تعكس عمق العلاقة بين التراث النقدي الإسلامي وتقنيات الذكاء الاصطناعي المعاصرة في مجال التحقق من صدقية المعلومة، إذ تبيّن أن التراث الإسلامي لم يكن مجرد مخزون روائي أو تاريخي، بل كان منظومة معرفية واعية اشتغلت على ضبط الخبر وتمييز الصحيح من المزيف من خلال علمي الرجال والدراية وتحليل النص والسياق. وهذا ما يكشف عن أن المسلمين الأوائل تعاملوا مع المعلومة بوصفها مسؤولية أخلاقية ومعرفية تترتب عليها آثار عقائدية واجتماعية. كما أظهر البحث أن التزييف المعرفي في عصر الذكاء الاصطناعي يمثل تحدياً غير مسبوق، نظراً لتطور الأدوات الرقمية القادرة على إنتاج محتوى شديد الواقعية، سواء على مستوى النصوص أو الصور أو الأصوات أو الفيديوهات، بطريقة قد تعجز القدرات البشرية التقليدية عن كشفها دون الاستعانة بأدوات تحليل خوارزمية.

وقد تبيّن أيضاً أن الخوارزميات المعاصرة المستخدمة في كشف الأخبار المزيفة وتحليل النصوص عبر تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (*NLP*) تعتمد على مبادئ قريبة في جوهرها من مبادئ نقد المتن والسند في التراث الإسلامي، مثل دراسة السياق، والتحقق من مصدر المعلومة، وفحص منطق النص واتساقه، وتقييم تاريخية النقل وموثوقية الراوي أو الناشر. وهذا التقاطع يؤكد أن المناهج النقدية ليست ملكاً لزمن دون آخر، بل يمكن أن تتجدد عبر إعادة توظيفها وفق أدوات العصر ومشكلاته، وعلى الجانب الآخر، أكدت الدراسة أن اعتماد المؤسسات التعليمية والدينية على الذكاء الاصطناعي دون ترسيخ قيم الوعي النقدي يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية، تضع الإنسان في موقع التلقي السلبي، مما يجعل التقنية نفسها أداة تضليل إذا لم تُضبط بأطر معرفية وأخلاقية واضحة.

وكما أظهرت النتائج أن بناء تعليم آمن ومستدام في عصر الذكاء الاصطناعي لا يتحقق بالاعتماد على الأدوات التقنية وحدها، بل يتطلب تكوين عقل ناقد قادر على فهم كيفية إنتاج المعلومات، وتاريخها، ومصادرها، ومآلاتها، وأن تحقيق الأمن المعرفي يمر عبر دمج المناهج التراثية في التحقق من المعلومة مع التقنيات الحديثة في التحليل والكشف والتصنيف، بما يحفظ للإنسان حضوره في الفعل المعرفي ولا يختزل دوره إلى مجرد مستهلك للبيانات.

وبذلك يظهر أن التكامل بين العقل النقدي الإنساني والخوارزميات الذكية هو الخيار الأكثر فاعلية في مواجهة التزييف المعرفي، وأن الوعي هو الضمان الأول قبل البرامج، وأن الحقيقة لا تُصان إلا حين يصبح الإنسان شريكاً واعياً في بنائها، لا متفرجاً على إعادة تشكيلها من قبل أنظمة صناعية لا تمتلك حساً أخلاقياً ولا مسؤولية قيمية.

التوصيات

تأسيساً على ما توصّل إليه البحث من نتائج، يوصى بإعادة بناء الوعي التعليمي والإعلامي والديني على رؤية معرفية جديدة تجعل من مهارات التحقق وتمييز الحقيقة جزءاً أصيلاً من البنية الذهنية للطالب والباحث والمتلقي العام، لا مجرد مهارة إضافية أو اختيارية. ويقتضي ذلك اعتماد مشروع تدريبي وتربوي طويل المدى يعيد تأهيل المتعلمين على قراءة المعلومة وفق أسس منهجية مستمدة من التراث الإسلامي في نقد الرواية، جنباً إلى جنب مع المهارات الرقمية الحديثة في تتبع المصادر، وتحليل المحتوى، والتعامل مع الخوارزميات. كما يتطلب الأمر إدماج مساقات "التفكير النقدي" و"أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" و"التحقق المعلوماتي" ضمن المناهج الدراسية في الجامعات والحوزات والمؤسسات التعليمية، بحيث تُدرّس بشكل

عملي وتطبيقي لا نظري فقط، بما يشمل التدريب على تحليل الأخبار، وكشف المحتوى الزائف، وفهم آليات إنتاج الخطاب وصناعته في الفضاء الرقمي.

وكما يوصى بإنشاء وحدات بحثية ومراكز رصد معرفي داخل المؤسسات الدينية والثقافية، تعمل على متابعة التطور في تقنيات التزييف المعرفي مثل (*Deepfake – Voice Cloning – AI Content Fabrication*)، وتنتج أدلة إرشادية وأدوات فحص مبسطة يمكن للمجتمع استخدامها لحماية وعيه، مع تطوير شراكات فاعلة بين المختصين في علوم الشريعة واللغة والحديث، وبين خبراء الذكاء الاصطناعي وعلم البيانات، بما يتيح إنتاج منهج تكاملي يجمع بين الخبرة التراثية والمهنية التقنية الحديثة. وينبغي أيضاً أن يصاحب هذا مشروع إعلامي واعٍ يعيد الاعتبار لقيمة الحقيقة في الخطاب العام، ويُعرّي آليات التلاعب المعلوماتي، ويُعيد للمتلقي الثقة بقدرته على التمييز بين الوعي والاستهلاك المعرفي.

ويُوصى كذلك بتبنّي رؤية تحصينية للفضاء الاجتماعي عبر نشر ثقافة السؤال قبل التسليم، والتمهّل قبل إعادة النشر، وتعزيز المسؤولية الأخلاقية في إنتاج وتداول المعلومات، بحيث لا يصبح المتلقي أداة لتمرير الزيف من حيث لا يشعر. أما على مستوى صُنّاع القرار التعليمي والثقافي، فالحاجة ملحة لوضع أطر تشريعية ومعايير جودة لمحتوى الذكاء الاصطناعي المستخدم في التعليم والدين والإعلام، تضمن أن تكون هذه الأدوات خادمة للحقيقة لا بديلة عنها، وأن يبقى الإنسان هو مركز الحكم والتمييز وليس مجرد امتداد لخوارزميات لا تعرف المعنى ولا القيم.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

[1] الكليني محمد بن يعقوب. الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. دار الكتب الإسلامية، طهران.

[2] الصدوق محمد بن علي بن بابويه. من لا يحضره الفقيه. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

[3] الطوسي محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام. دار الكتب الإسلامية، طهران.

[4] النجاشي أحمد بن علي. رجال النجاشي. تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

[5] العلامة الحلي، الحسن بن يوسف. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. منشورات الرضي، قم.

[6] ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث. دار الفكر، بيروت.

[7] الذهبي محمد بن أحمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. دار الكتب العلمية، بيروت.

[8] السيوطي جلال الدين. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. دار ابن كثير، بيروت.
[9] الخوئي أبو القاسم. معجم رجال الحديث. مؤسسة إحياء التراث، النجف.
[10] شُبّر حسن. دراسات في علم الدراية. دار الهادي، بيروت.
[11] جعفر السبحاني. بحوث في علم الرجال. مؤسسة الإمام الصادق، قم.
[12] الهاشمي علي كريم. التحقق من الأخبار في المنصات الرقمية: مقاربة تحليلية. مجلة الإعلام والاتصال المعاصر، جامعة بغداد، 2022.
[13] الشمري زيد. الذكاء الاصطناعي وبناء الوعي المعرفي لدى الشباب. مجلة الفكر التربوي الإسلامي، النجف، 2023.
[14] العكيلي حيدر. التزييف العميق وأثره في تشكيل الرأي العام. المركز العربي للدراسات الإعلامية، بغداد، 2024
[15] O'Leary, D. Artificial Intelligence and Big Data Analytics: The Future of Information Verification. Journal of Information Systems, 2021.
[16] Shu, K., Sliva, A., Wang, S., Tang, J., & Liu, H. Fake News Detection on Social Media: A Data Mining Perspective. ACM SIGKDD Explorations, 2017.
[17] Zhou, X., & Zafarani, R. A Survey of Fake News: Fundamental Theories, Detection Methods, and Opportunities. ACM Computing Surveys, 2020.
[18] Goodfellow, I., Bengio, Y., & Courville, A. Deep Learning. MIT Press, 2016.
[19] Floridi, L. The Ethics of Artificial Intelligence. Oxford University Press, 2022.
[20] Chesney, R., & Citron, D. Deep Fakes and the New Disinformation War. Foreign Affairs, 2019.
[21] Maras, M., & Alexandrou, A. Determining Authenticity of Video Evidence in the Age of Artificial Intelligence and Deepfakes. The International Journal of Evidence & Proof, 2021.